مطبوعات ومخطوطات

عقلاء المجانين

مهما اختلفت التقلبات على العقل البشري لا تزال مادة خواطره واحدة على تباين الاعصار والامصار . فما يجول في افكار أبناء هذا العصر الجديد من الموضوعات قد جال في خيال أهل القرون الخالية . وما كل ما اخترع اليوم واستنبط كُشف سرّه في جيل أو قرن بل ان التصورات تكاد تكون واحدة وان اختلفت ضعفاً وقوّة وكل ما يبهرنا من أسباب الحضارة هو عمل قرون كثيرة

من كان يظن ان بعض سلفنا خطر له ان يُطرف أبناء عصره بكتاب في نكات المجانين وحكم البله والمتبالهين . هذا المصنف[1] هو للعلامة الثبت الناقد الحجة الرحلة ابي القاسم الحسن بن حبيب المفسر النيسابوري بدأه بمقدمة في الجنون وما ورد فيه في الكتاب العزيز وما احتالت به قريش على الرسول صلوات الله عليه من نسبته الى الجنون لما دعاها الى الحق شأن كل قبيل ينسب للجنون كل عاقل يخالف قوله وفعله ما هو فيه وتوارثه بالتقليد الاعمى

قال المؤلف : «لقد سألني بعض أصحابي عوداً على بدء أن أصنف كتاباً في عقلاء المجانين وأوصافهم وأخبارهم وكنت اتقامس عنهُ الى ان تمادى به السؤال فلم أجد بداً من اسعافه بطلبته واجابته الى بغيته تحرياً لرضاه وتوخياً لهواه وكنت في حداثة سني سمعت كتباً في هذا الباب مثل كتاب الحافظ وكتاب ابن أبي الدنيا واحمد بن لقمان وابي علي سهل بن علي البغدادي رحمهم الله فوقع كل كتاب منها في جزءٍ ما يقارب

(١) ظفرت بهذا الكتاب في مكتبة الشيخ ابي الخير عابدين بدمشق ضمن مجموعة من مجاميعها وهي مكتوبة لثلاث وعشرين خلت من المحرم سنة ١٠٦٥ بالقسطنطينية

جزءاً تتبعها وتيقنتها وضممت اليها قرائنها وعزوتها الى أصحابها وألفت هذا الكتاب على غير سمت تلك الكتب وهو كتاب يكفي الناظر فيه الترداد وتصفح الكتب وأرجو اني لم أسبق الى مثله »

ثم ذكر المؤلف أصل الجنون واسماء المجنون في اللغة أورد منها الاحمق واستشهد بقول الشاعر

سبحان من نزّل الاشياء منزلها وصير الناس مرفوضا وموموقا
فعاقل فطن أعيت مذاهبهُ وجاهل حمق تلقاه مرزوقا

ومنها المعتوه والاخرق والمائق والرقيع والمرقعان واستشهد بقول عبيدالله بن عبد الله

وما الناس الا وعاة العلوم وسائرهم غنم في قطيع
وانا بلينا بله حمير ومحنة دهر رفيع رقيع

ومنها الموسوس والأنوك والبدهة والذولة والموتة والعرهاة والاولق والمهوس واللبلباجة واللكع والجذب والهجاجة والرشاع ثم ذكر الامثال المضروبة في الحمق والحمق فمنها قولهم تحسبها حمقاء وهي باخس اي انها مع حمقها تظلم غيرها . ومن أمثالهم أحمق بلغ أي انهُ مع حمقه يبلغ حاجته ومن أمثالهم فيه خرقاء ذات نيقة اي انها حمقاء وهي مع ذلك تأنق في الامور . ومن امثالهم أحمق من رجلة وهي البقلة الحمقاء وحمقها انها تنبت في السروح ومسايل الاودية فيجيء السيل فيجرفها . ومن أمثالهم انه لاحمق من ترب العقد والعقد عقد الرمل وحمقه انهُ ينهار ولا يثبت فيهِ الترب يُضرب للذي لا يثبت ولا يستقر على حال. ومن امثالهم انه لاحمق من دعة وهي امرأة عمرو بن جندب بن العنبر ومن أمثالهم أحمق من المهبورة احدى حدمتيها (هما الخلخالان) وتقول العرب للمبالغ في الجنون جنونه مجنون ولبعض أصحاب الشافعي

جنونك مجنون ولست بواجد طبيباً يداوي من جنون جنون

ومنها خامري أم عامر (كنية الضبع) ومنها انه لاحمق من العقمق قال ابن الكلبي

تقول العرب انهُ لاحمق من حاقة عقعق وذلك لانها تبيض على الاعواد فربما وقع بيضها فانكسر . والمجانين على ضروب فمنهم المعتوه والمعروه والمسوس والعاشق قال الاصمعي : لقد اكثر الناس في العشق فما سمعت بأوجز ولا أجمل من قول بعض نساء الاعراب وسُئلت عن العشق فقالت داء وجنون . وكانت العرب تقول الشباب شعبة من الجنون

وهنا تم القسم العلمي من الكتاب وبدأ المؤلف يورد القصص والحكايات الكثيرة على المجانين واشعارهم وذكر أمثلة ممن اعتقد بدعة وارتكب كبيرة فأدركه شؤمها فجنّ ومن جُنّ من خوف الله ومن تجانّ وتحامق وهوصحيح العقل وهم ضروب فمنهم من تعاطى ذلك ليريَ شأنهُ و يستره على الناس ومنهم من تحامق لينال غناء ومن تحامق ليطيب عيشاً ومن تحامق لينجو من بلاء وآفة

ولم تخل هذه الحكايات من حكم وأمثال لا يتأتى مثلها الا لارباب العقول واشعار لطيفة قلما تجدها فيما بين أيدينا من الكتب كقول علي بن محمد بن قادم

عذلوني على الحماقة جهلاً وهي من عقلهم ألذّ وأحلى
لو لقوا ماقيت من حرقة العلـ ـم لساروا الى الجهالة رسلا
ولقد قلت حين أغروا بلومي أيها اللائمون في الحمق مهلا
حمقي قائم بقوت عيالي ويموتون ان تعاقلت هزلا

وذكر كثيراً من أخبار أُويس القرني اول من نسب الى الجنون في الاسلام ومجنون ليلى وسعدون المجنون وبهلول وعليان وغيرهم

ومن حكاياتهم ان رجلاً آلى بيمين ان لا يتزوج حتى يستشير مائة نفس لما قاسى من بلاء النساء فاستشار تسعة وتسعين نفساً وبقي واحد فخرج على ان يسأل أول من نظر اليه فرأى مجنوناً قد اتخذ قلادة من عظم وسوّد وجهه وركب قصبة فأخذ رمحه فسلم عليه وقال : مسئلة . فقال : سل ما يعنيك واياك وما لا يعنيك . قلت : مجنون

والله ثم قلت : اني أصبت من النساء بلاء وآليت ان لا أتزوج حتى استشير مائة نفس وأنت تمام المائة . فقال : اعلم ان النساء ثلاث واحدة لك وواحدة عليك وواحدة لا لك ولا عليك فأما التي لك فشابة طرية لم تمس الرجال فهي لك لا عليك ان رأت خيراً حمدت وان رأت شراً قالت كل الرجال على مثل هذا وأما التي عليك فامرأة ذات ولد من غيرك فهي تـلبخ الزوج وتجمع لولدها وأما التي لا لك ولا عليك فامرأة قد تزوجت قبلك فان رأت خيراً قالت هكذا تجب وان رأت شراً حنت الى زوجها الاول . قلت : ناشدتك الله ما الذي غير من أمرك ما أرى قال ألم اشترط عليك ان لا تـأل عما لا يعنيك فأقسمت عليه فقال : اني رُشّحت للقضاء فاخترت ما ترى على القضاء . قلت : وقد فعل ابن الهيثم الرياضي الفيلسوف المشهور مثل هذا وترك الوزارة وتجانّ ليكون له حرية يتمتع بها في خدمة العلم .

وقال الاصمعي : قال عمي : دخلت بعض احياء العرب فرأيت شيخاً موسوساً يهذي وقد اجتمع اليه الناس فقلت مَن هذا ؟ فقالوا حساس الموسوس لا يزال ينام ليله ونهاره وربما ينتبه فزعاً مرعوباً فيجلس ساعة ثم يصيح ويهيم على وجهه ثم يعود الى نومه فبت ليلة هناك وهو على الحال الذي وصفوه فلما أصبحنا أتيته فقلت : ما اسمك ياشيخ أنت أنوم من فهد مالك تنام دهرك فقال : النوم لا تبعة عليّ فيه وفي مجالستك ومجالسة أضرابك تبعات . قلت : وأي تبعة عليك في مجالستي ؟ قال : اشتغل بك عمن انشأني ثم أنشد يقول

لقد أغنيت عن هذا السؤال وعما أنت فيه من المقال
فان كنت الغداة تريد قولا فما فيه رضى مولى الموالي

ثم عدا هائماً على وجهه في تلك الرمال قائلاً : ما أكثر فضول أهل الحضر .

قال الاصمعي : بينا انا ذات يوم عند والي الكوفة وهو يسألني عن أهل البصرة اذ أقبل مجنون بالباب يتكلم بالشعر فقال : ادخلوه فدخل فاذا هو رجل كأنهُ نخلة

سحوق نتن الاطراف موسوس فسلم على الامير فرد عليه السلام وقال: من أنت ؟ فقال : اني أنا أبو الشريك الشاعر من يسأل عني فأنا ابن الفاغر فقال الوالي : ما أمدحك لنفسك ! فقال :

لانني ارتجل ارتجالا ماشئت يامن البس الجمالا

قال الاصمعي : فقال لي الامير ماهذا مجنون فألق عليه ما عندك فقلت له ما الريم فقال : الريم فضل اللحم للجزار ينحره للفتية الايسار فقلت ما الحلوان فقال :

أليس ماتعطي على الكهانة والحر لا يقنع بالمهانة

فقلت ما الدكاع فقال :

ان الدكاع هو سعال الماشية والله لايخفى عليه خافيه

قلت فما التوله فقال :

عوذة عنق الطفل عندي توله وقد تسمى العنكبوت توله

قلت فما الرفة فقال :

الرفة البين فسل ماشيتا لقد وجدت عالماً خريتا

قال الاصمعي : فاستحييت من كثرة ما سألته فقال : قل ما الهلقس والسحاح والحل الرادح لا براح قلت : الهلقس الطمع الحريص والسحاح الذي لا يستقر في موضع والرادح المهزول فقال :

ما أنت الا حافظ للعلم أحسنت ما قلت بغير فهم

فقال الوالي : فجذا كل مجنون مثل هذا ثم أمر له بعشرة آلاف درهم فلما قُدم اليه المال قال :

اكل هذا هو لي بمرة ثم سروري واعترتني شِرّة

ثم أقبل على الامير فقال :

رِشت جناحي يا أخا قريش أقررت عيني وأطبت عيشي

والكتاب معظمهُ من هذا النسق وهو يقع في نحو مئة صفحة منصفة القطع مكتوب بخط جميل تغلب عليهِ الصحة . والغالب انهُ نقل عن نسخة صحيحة ووقع في أيدي جهابذة نقّاد فقوّموا مناده وأوده أما انشاؤه فانشاء المئة الثالثة والرابعة سلاسة بلا تكلف وطبع بلا تصنع

طبقات الشافعية الكبرى — اهدانا مصطفى افندي فهمي الكتبي نسخة من هذه الطبقات لمؤلفها شيخ الاسلام تاج الدين بن تقي الدين السبكي المطبوعة في مصر على نفقة مولاي احمد بن عبد الكريم القادري الحسني الفاسي فجاءت في ستة مجلدات حوت من الفوائد التاريخية والاجتماعية والادبية والمذهبية والخلافية والمناظرات والمطارحات والفكاهات والحكايات ما لا يسع المتعلم جهله فضلاً عن المشتغلين بفقه الشافعي لان الوقوف على سير أرباب هذا المذهب مما لا غنية لطالب عنه

ابتدأ المؤلف كتابه بمقدمة طويلة عريضة بلغت زهاء مئة وعشر صفحات من كتابه لاتخلو من مغامز وفوائد جاءت عرضاً . ولا بد أن تقع فيما ينقله المكثار ويرويه على طرفة تستطرفها وفائدة تقتطفها . ولذلك قالوا المكثار كحاطب ليل يجمع بين الجيد والرديء . ولا ذنب في ذلك على التاج السبكي بل الذنب في الاكثر على عصره فقد كان عصر المشاغبات والمماحكات وضعف ملكة التأليف

قسم المؤلف كتابه الى طبقات سبع الاولى طبقة من جالسوا الامام الشافعي وعددهم نحو اربعين فقيهاً والثانية وهي فيمن توفي بعد المائتين للهجرة ممن لم يصحب الشافعي وانما اقتفى اثره ، ويبلغ عددها نحو ثلاثين رجلاً . والطبقة الثالثة فيمن توفي بين الثلاثمائة والاربعمائة وعددها نحو ١٧٠ مترجماً والطبقة الرابعة فيمن توفي بين الاربعمائة والخمسمائة وهي نحو ٢٧٠ فقيهاً . والطبقة الخامسة من مات بعد الخمسمائة وعددها نحو ٤٧٠ فقيهاً . والطبقة السادسة فيمن توفي بين الستمائة والسبعمائة وهي قرابة ٢٥٠ فقيهاً . والطبقة

السابعة فيمن توفي بعد السبعمائة وتبلغ نحو ١٣٥ فقيهاً . وقد ساق المؤلف أسماءهم كلها على حروف المعجم واكثر من الكلام على من ارتضاهم وربما أدخل في غمار الفقهاء من ليس منهم كما يفعل بعض مؤلفي الطبقات في الغالب حباً بتكثير سوادهم

وقد أورد التاج طرفاً كبيراً من الكوارث والفتن التي حدثت في بعض تلك الادوار استطرد اليها لادنى مناسبة واكثر ما شاء وشاءت قريحته فلم يكن منها غير تكبير حجم الكتاب على غير طائل . وطبقات الرجال لا تدخل فيها لحوادث الاجيال وهذه من خصائص كتب التاريخ السياسي . ومن يقرأ المناظرات التي ذكرها المصنف وهي مما وقع بين بعض الفقهاء المترجمين وبين غيرهم ممن ليسوا على مذهبهم يتضح له ما كان ثمت من تعصب بين المتخالفين وكيف صرف ارباب المذاهب أوقاتهم في الجدال والقيل والقال .

وانا لم نرَ عبارة لوصف هذه الطبقات اجمل من التي كتب بها الينا احد كبار شيوخ العلم في الشام عند ماصدر الجزء الاول منها قال : « قد سررت بطبع طبقات التاج السبكي لقلة ما طبع من كتب التاريخ في مصر وان كان السبكي شديد التعصب كما يظهر من مقدمة الكتاب التي أفردها لذم التعصب والمتعصبين وجعل من المفرطين فيه شيخه الحافظ الذهبي فزعم انه افرط على الاشاعرة ومدح فزاد في المجسمة يريد بالمجسمة الحنابلة وعلماء الحديث وهي عبارة تدل على فرط السخافة فان كان الذهبي متعصباً فتعصبه نشأ عن خطاء في الاجتهاد وتعصب التاج عن عناد ولجاج غير ان الزمان سيسقط كل مموّه أياً كان فينتفع بكتابه بمثل ذكر ما للمؤلف من مؤلَّف ونحو ذلك » .

والكتاب جيد الطبع على الجملة يطلب من مكتبة مصطفى افندي فهمي بخمسين قرشاً مصرياً فنحث على اقتنائه فان حسناته كثيرة ولا يجوز أن يزهد في عقد من اللؤلؤ اذا كان فيه بعض الخرز . والصيرفيُّ الحاذق ينقد الدينار الخالص من الستوق الزائف . ونثني على طابعه اجمل ثناء

سياحة في القطر المصري — هو كتاب في نحو ١٥٠ صفحة فيه مباحث اجتماعية وتاريخية عن البحيرة والشرقية والفيوم وأسيوط وغيرها ومباحث عمومية عن العربان والامن العام وغير ذلك مما له علاقة بحياة هذه المديريات المهمة من القطر المصري ساح فيها عوض افندي واصف صاحب مجلة المحيط ورئيس تحرير جريدة مصر وتكلم عن شؤونها بما دله عليه اختباره وفضله وقد نشرها أولاً في مصر ثم جعلها ملحقاً لمجلة المحيط وأرسلها لمشتركيه في العام الماضي وهي تطلب من مؤلفها وفيها من الفوائد ما يرغب فيه كل مصري أديب فنحث على اقتنائها ونشكر لرصيفنا عنايته وهديته

سير العلم

لغة الاسبرانتو — انتشرت هذه اللغة التي ألفها الدكتور زامنهوف الروسي انتشاراً عظيماً في العهد الاخير وأقبل الاوربيون على تعلمها لسهولة مأخذها وسينعقد مؤتمرها هذه السنة في كمبردج فتقيم له كلية هذه المدينة احتفالاً بديعاً وقد أنشئت جمعية من علماء الحقوق ممن تعلموا اللغة الجديدة. وممن ينتصر لهذه اللغة وتلقنها ملكة اسبانيا وملكة نروج التي تعلم هذه اللغة